كتب

تكتب الروائية المصرية عوالم الآخرين دفعة واحدة من دون أن تعزل فئاتهم عن بعضها، ولا تخاصم عناصر ضدّ أخرى، فالحياة من جميع جوانبها الاقتصادية والعقائدية هي مادّتها. من هنا جاءت إسهاماتها التاريخية ملتبسة بالهوامش، أكثر من تماهيها بما تبوح به المتون وحسب

سلوى بكر عوالم شوّهها القمع

رواية تفكّك سنوات السادات

سومر شحادة

تبدو رواية «فيلة سوداء بأحذية بيضاء» للروائية والناقدة المصرية سلوى بكر (1949)، بياناً سياسياً واجتماعياً شاملاً في إدانة التطرّف بوجوهه السلطويّة كافّة؛ السياسية والدينية، وهي في الوقت عينِه بيانٌ فنّي أيضاً، إذ تكثّف الكاتبة بضربتي ريشة، كلّ منهما تمضي في اتجاه، تكثيفاً أسلوبياً، طرائقَ السرد في روايةٍ تقول كلّ شيء بأقلّ عددٍ من الكلمات. وهذا فنّ صعب، تطوّعه بكر، صاحبةُ التجربة الطويلة في الكتابة، في روايتها الصادرة مؤخّراً عن دار «دوّن».

سلوى بكر من الكاتبات اللواتي يكتبن عن الآخَرين مجتمعين، لا عن ذاتها، مادّتها هي الحياة نفسها، ذلك أنّها لا تنظرُ إلى الشخصية بمعزلٍ عمّا صنعها، وإنّما تنظر إليها وتضعها في سياقٍ أوسع؛ اقتصاديّ وعقائديّ غالباً. كما أنّها مثالٌ للكتابة النسويّة التي لا تنظر إلى الرجل بصفتهِ خصماً من طبيعة مغايرة، وإنّما تنظرُ إلى القيم التي تحكم العلاقة بين الرجل والمرأة بصورة نقديّة. لذا، قدّمت إسهاماتها في الرواية التاريخية من خلال الإضاءة على هوامش ضمن المتن التاريخي. ولربّما أشهر رواياتها في هذا الصدد «البشموري» (1998) التي تتحدّث عن العقائد المصريّة مع بداية انتشار الإسلام، و«كوكو سودان كباشي» (2004) التي تتحدّث عن فصيلة مصرية قاتلت في المكسيك. في مجموعتها القصصيّة «زينات في جنازة الرئيس» (1986) كتبت عن المرأة التي تعنيها في أدبها، وهي المرأة المكافحة، لا المرأة المُلتحِقة بفضاء الرجل. وكانت مجموعتها القصصيّة الأولى «حكاية بسيطة» قد صدرت عام (1979)، وبمرور السنوات تعدّدت أعمالُها بين الرواية والقصة والمسرح والنقد لتزيد على ثلاثين مؤلّفاً.

كتبت بكر روايتها «العربة الذهبيّة لا تصعد إلى السماء» (1991) بعد تجربة الاعتقال في السجن إثر مشاركتها في إضراب عمّال الحديد والصلب عام 1989، بصفتها سجينة سياسيّة بين مجموعة من السجينات لأسباب جنائية، وقد عرفت الرواية شهرةً كونها تسرد حكاية النّساء في الطبقات المسحوقة. كما سبق لها أن شاركت في «مظاهرات الطيران» في ميدان التحرير عام 1968 ضدّ قادة سلاح الطيران الذين اعتُقِد أنّهم سبب هزيمة حزيران/ يونيو 1967. وبدا أنّها تستلهم اللحظات الفارقة من حياتها في أعمالها الأدبيّة، ففي المظاهرة عينها، تلتقي بطلة روايتها الأخيرة عِفّت، مع حسام الذي تراه «الرجل في أمثل حالاته» وهو شاب يدرس الهندسة المدنيّة، وينتمي إلى منظّمة الشباب الاشتراكيّ من أجل القيام بعمل مسلّح لتحرير سيناء.

هنا، يظهر أنّ الموقف ضدّ «إسرائيل»، هو في صميم صورة الرجل المثالي من وجهة نظر الفتاة المصرية. لكنّ بكر أخذت، منذ البداية، هيئة الرجل في حالته المثالية تلك كي ترسم انقلاب هذه الرجولة إلى أرذل الحالات. في مقابل حسام، تعرف عِفّت هذا التغيّر الجذري في حالتها، وكأنّ الرواية موجتان متقابلتان. تلتقي عِفّت بحسام أثناء سهرات أهالي حي الزيتون، وهم ينتظرون تكرار معجزة الظهور والتجلّي للسيدة العذراء، حيثُ تبدأ الرواية بمعجزة لها طابع ديني كانت بالنسبة إلى الذين شهدوا المعجزة إشارة الخلاص. وكان لحسام رأي حيال تجلّي العذراء على أنّه موضوع مفبرك من نظام عبد الناصر كي يُلهي النّاس عن خيبة الهزيمة، وهذا رأي نقديّ مقابل رأي مؤمن بالغيبيّات، كما كان له رأي أنّ المواجهة مع «إسرائيل» تبدأ بتحقيق العدالة الاجتماعيّة. أسهم حسام في - ولربّما صنع بمفردهِ - تغيُّر عِفّت عبر تشجيعها على التثقّف الذاتي وعبر الأفكار الثورية التي كان يخبرها عنها. وعِفّت التي كانت ترى فيهِ خلاصها من الحياة وسط القيود الاجتماعية في منزل الأسرة، وجدت نفسها مندفعةً إلى التغيير الذي يحدثه فيها، وكان للكتب التي أعطاها إيّاها فعل السحر، وهو فعل الثقافة المتحرّرة بطبيعة الحال، هكذا بدت الصورة مشرقة لحبيبين متالفين، قبل أن تشهد الرواية حدثاً سوف يقلب الحكاية. يكتشف حسام يوم الزواج عدم عذريّة عِفّت، الأمر الذي يحطّم صورتها أمامه، وفي الواقع، فإنّ صورته داخل عِفّت هي التي تحطّمت من جرّاء ردة فعلهِ غير العقلانيّة. وبعد محاولات كثيرة يوافق على استشارة طبيب، وتخفتُ هذه الأزمة بينهما مع حضور أزمة ثانية، وهي معرفتهما عدم قدرة حسام على الإنجاب. إنّهما زلزالان شخصيّان يصنعان عالم الزوجين مقابل زلزالين صفعا مصر، وهما هزيمة حزيران/ يونيو، واتفاقية «كامب ديفيد».

تتّسع الفجوة بينهما بتراكم السنوات. لنرى الخلفية الاجتماعية الواسعة للمشهد، وما طاول المصريّين خلال سنوات حكم السادات، إذ بدأت «كرامات النفط» تفرضُ مفاهيمها على الأسرة المصريّة، على مبدأ «عش واستهلك»، إلى جانب شراهة الكتل الإسمنتية وهدم القصور والبيوت الجميلة. تستخدم بكر تعبيراً، «كأنّ القاهرة تُدكّ بالقنابل»، لتشير إلى حربٍ من نوع آخر، خسرتها مصر، وهي خسارةٌ أصابتْ الثقافة أيضاً، فتلك المدينة العريقة بدت في السبعينيّات مدينةً تحت الإنشاء. وهذا بتعبيرٍ أدقّ إعادةُ تشكيل للمدينة على أرضية مختلفة، مثّلت في الرواية تفكيك العلاقة التي بُنيَت على أساس الحبّ والحريّة وإحالتها إلى حالة نراها في المجتمع المصري لسيّدة تحاول ما استطاعت الوصول إلى الطلاق، والحصول على أدنى حقوقها. كأنّما بغياب البيوت القديمة كانت تغيب الألفة القديمة والأحلام.

تولي سلوى بكر اهتماماً بكلّ ما هو شكلي، وتراهُ دلاليّاً في النهاية. صار حسام يترك لحيته تنمو من غير تشذيب، وصار له «كرش صغير» بدأ يكبر كلّما ازداد ابتعاداً عن زملاء الجامعة وعن شعارات الرفض. كما بدأ يُضيّق على زوجته عِفّت لبسها للفساتين، وقد سايرته لسنوات، وامتنعت عن ارتداء ما قد يثير حفيظته، مع إصرارها أنّ لها صدراً لا يغوي أحداً، وفي هذا الإصرار الساخر إنّما كانت تجد الأنوثة في مكان آخر، قيميّ.

في عهد السادات يُستبدَل الرجل بأمثل حاله، برجلٍ آخر، وهو نموذج «الإنسان الممتاز»، بيد أنّه نموذجٌ يشبهُ عصرَه، حيثُ العنف الديني والشراهة المادية والفساد الإداري. بينما المرأة، عفّت، التي كانت ترى في الرقص أداة تعبير سياسيّ ووسيلة احتجاج يقوم بها الجسد ضدّ القيود. وجدت نفسها تعيش مع رجلٍ يفعل ما بوسعهِ كي يقيّدها، بدءاً من الأفكار إلى السلوك في اللباس والعمل، ويطلب منها أن تتوب إلى الله، وكأنّما الزمن الجديد أحضر معه مصطلحات جديدة، حتّى أنّ لغة حسام تغيّرت مع تراجع المشاعر الإنسانية، وصار بلا لباقة.

مع ذلك، بقيت فلسطين والتحوّلات التي شهدتها علاقة مصر بالقضيّة، في جوهر المسائل الوجدانية التي تعني سلوى بكر في بيانها الفنيّ الاجتماعي هذا، وقد ترافقت تغيّرات المجتمع المصري مع استعداد السادات الذهاب إلى «إسرائيل». ومع توقيع اتفاقية «كامب ديفيد»، كانت العلاقة الزوجية تقارب النهاية. بازدياد ثروة حسام المشبوهة نقص الحبّ بينه وبين عفّت، وفي هذا، فإنّ بكر تقدّم مفهوماً أخلاقياً للحبّ من جهة، ومفهوماً استهلاكيّاً للمال، وهذه مقاربة ربما تكون صحيحة، إلا أنّها مقاربة حادّة في النّص. تنتهي بتساؤل الشخصية الرئيسية أمام مظاهر الثراء الفاحش الذي ينطوي على فقرٍ فكريّ في أحد بيوت أصدقاء حسام الجدد؛ هل نحن في مصر فعلاً؟

جدّة الكاتبة ما هي إلا إشعارٌ بفقدانها بلدها الذي كانت تعرفه وتأمل بأن يكونه. إنّه ليس فقدان الماضي، بقدر ما هو فقدان المستقبل. تنتهي الرواية باغتيال السادات وانفصال الزوجين، رمياً للزوجة خارج المنزل بما كانت ترتدي، أو العودة مقابل النقاب، ما رفضته عِفّت وشبّهته سلوى بكر باتفاقية «كامب ديفيد» جديدة، وهذه المقاربة إشارة يقينيّة إلى التكاتف الجوهري بين السلطة السياسية والدينية في وجه الميثاق الذي جمع المحبّين مع كلمات بول إيلوار:

«خُلقنا لنكون أحراراً
خُلقنا لنكون سعداء».

(روائي من سوريّة)

ثقافة جادّة

ليس حسام وعفّت بطلَيْ رواية فحسب، بل هما تجسيد لما لحق بالإنسان العربي من تشوّهات خلّفتها السّلطوية السياسيّة من جهة، والارتدادات الدينيّة العنيفة من جهة ثانية. وبقدر ما تتناقض هذه الثنائية في المظهر، إلّا أنّ ثقافة جادّة، كالتي تمثّلها سلوى بكر، لم تضع اليد على صلة الوصل الخفية تلك، بل عملت على صياغتها فنّاً روائياً يتقاطع فيه المستوى الرفيع والانتماء الواعي.

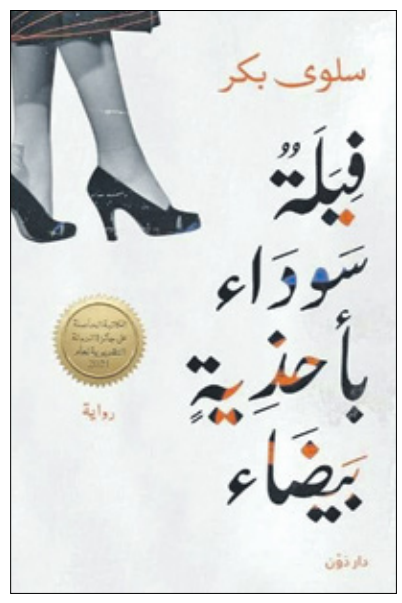

اهتمّت بمعاناة النساء المسحوقات بعد تجربة اعتقال سياسي

كتبت عن فلسطين والتحوّلات التي شهدتها علاقة مصر بالقضيّة

سلوى بكر

نظرة أولى

«أنثولوجيا الترجمة العربية» عنوان الكتاب الصادر حديثاً عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» للباحثَين **طارق شما ومريم سلامة كار**. يتناول العمل فكر الترجمة في اللغة العربية في مرحلتي التراث المُبكّر وعصر النهضة، وذلك عبر اختيار خمسمائة نصٍ مترجَم، رُتّبت فيها النصوص في المرحلتين المذكورتين، ويتكوّن كل فصل من مقدّمة تشمل سيرة موجزة للمؤلّف، أو المؤلّفين، ومقدّمة عامّة عن النص، يليهما النص نفسه، ثم تعليق أحد الباحثَين على النص، في محاولة للتعمّق في قضايا الترجمة، حيث قليل منها محسوم وكثير ما يزال موضع نقاش.

«البداهات الزائفة في الفكر الإسلامي» عنوان كتاب صدر مؤخراً للمفكّر التونسي **عبد المجيد الشرفي** (1942) عن «دار محمد علي» و«الانتشار العربي». يمثّل العملُ فحصاً لمجمل القضايا التي ناقشها الشرفي على مدى قرابة نصف قرن، وبرزت في مؤلّفات مثل: «مقامع الصلبان» (1975)، و«الفكر الإسلامي في الرد على النصارى» (1986)، و«الإسلام والحداثة» (1991)، و«الإسلام بين الرسالة والتاريخ» (2001)، وفي سلسلة كتب جمعت مقالاته العلمية ومحاضراته بعنوان «لبنات»، صدرت ما بين 2011 و2013، و«المصحف وقراءاته» (2016، مؤلفاً مشاركاً).

عن «دار طباق» للنشر في رام الله، صدر حديثاً كتاب «كباسيل.. منافذ الاتصال والتواصل لدى الأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي»، للأسير المُحرّر **عمر نزال**. يستعرض العمل قرابة 22 وسيلةً يستخدمها الأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي من أجل الاتصال بعضهم ببعض ومع العالم الخارجي، وكذلك مع وسائل الإعلام التي تتشدّد إدارة السجون في فرض الرقابة عليها. صدر الكتاب بالتزامن مع يوم الأسير الفلسطيني الموافق السابع عشر من نيسان/ إبريل، وقدّم له الأسير المحرر وليد الهودلي الذي رأى فيه «دراسة احترافية تخترق جدران السجون العالية».

«تحوُّلات ديكارت: سِرُّ سارتر» عنوان كتاب للأكاديمي **كاميّ ريكييه**، صدر حديثاً لدى منشورات «غاليمار» في باريس. يقترح الكِتاب قراءةً جديدة في العلاقة بين الفيلسوفين، حيث يبحث في تأثّر سارتر بالمشروع الديكارتي، وبحثه عن «أنا» يتّصف بالخلود، كذلك الذي حاول ديكارت إيجاده في تأمّلاته، هذه التأمّلات التي يرى أن سارتر لم يتوقّف طيلة حياته عن محاولة إعادة كتابتها. ويذهب الكتاب أبعد ليقول إنه إذا كان مذهب سارتر قد عُرف، من الخارج، باسم الوجودية، فإنه من الداخل، أي بالنسبة إلى ديكارت، كان يحمل اسم الديكارتية.

بتوقيع المترجم **غسان حمدان**، صدرت عن «دار الجمل» مختارات شعرية للشاعر والسينمائي الإيراني عباس كيارستمي بعنوان «بصحبة الريح». مثل أفلامه، يحضر الريف والطبيعة والثابت من قيم العلاقات البشرية كثيمات بارزة في شعر كيارستمي (1940 . 2016)، وعلاوة على الحس السينمائي، نجد في شعر الفنّان الإيراني خلفيات المنطق التشكيلي في اقتناص جوهر الكائنات، كما يمكن القول إنّ هذه الروح كانت حاضرة في أفلامه السينمائية، ناهيك عن البعد الشعري الذي يسكنها خصوصاً في أعماله: «أين يقع منزل صديقي»، و«طعم الكرز»، و«ستحملنا الريح».

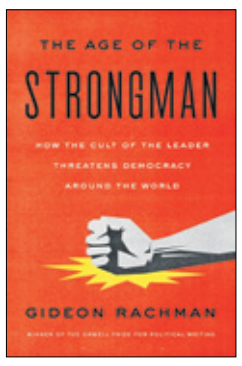

عن منشورات «آذر برس»، صدر حديثاً كتاب «عصر الرجل القوي: كيف تهدّد عبادة القائد الديمقراطية في أنحاء العالم» للباحث البريطاني **غديون راشمان**. يناقش المؤلّف صعود زعماء أقوياء إلى السلطة في عواصم مختلفة؛ مثل موسكو وبكين ودلهي وبرازيليا وبودابست والرياض وواشنطن، وسمات شخصياتهم التي تشترك في المحافظة الاجتماعية وقلّة التسامح تجاه الأقليات أو المعارضة أو مصالح غير المواطنين في بلادهم، ومزاعمهم في الدفاع عن المهمّشين ضدّ العولمة والشركات متعدّدة الجنسيات وأخطار اللجوء، وغيرها من التحوّلات المرتبطة بالانفتاح التكنولوجي.

«تجلّيات سجين الوباء» عنوان كتاب الروائي الليبي **إبراهيم الكوني** (1948)، الصّادر مؤخّراً عن «المؤسّسة العربية للنشر». يضمّ العمل مقالات عدّة تمثّل سلسلة من التأمّلات متنوّعة المشاغل حول مختلف قضايا الحياة وهموم الكتابة، إضافة إلى قراءات في الكتب والأسطورة والتاريخ وضعها المؤلف في فترات الحَجْر الصحي التي عرفها العالم خلال السنتين الماضيتين نتيجة جائحة كورونا. من مؤلّفات الكوني الأُخرى: «المجوس»، و«من أساطير الصحراء»، و«الصلاة خارج نطاق الأوقات الخمسة»، و«الخروج الأول إلى وطن الرؤى السماوية»، و«ديوان البر والبحر».

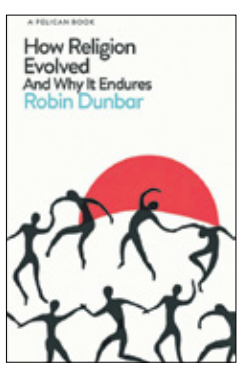

صدر حديثاً عن منشورات «بنغوين» البريطانية كتاب «كيف تطور الدّين ولماذا يستمر؟» للأنثروبولوجي وعالِم النفس التطوّري البريطاني **روبن دونبار**. يقارب العمل مجموعة من الأسئلة حول الفكر الروحي في عالمنا المعاصر، كما يتطرّق إلى دور الدين في تعزيز الترابط الاجتماعي في المجتمعات المنقسمة، بالإضافة إلى محاولة الباحث صوغ نظرية شاملة لفهم كيفية تديُّن الناس، وذلك بالاعتماد على بحث ميداني في مناطق مختلفة من العالم، ومقابلات مع قادة طوائف وجماعات روحية ودينية مختلفة، بهدف فهم كيفية التدين وأسباب استمراره.